

الكشاف

نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختمنا إلى رسول الله ﷺ فقال : " شاهدك أو يمينه " فقلت إذن يحلف ولا يبالى فقال " من حلف على يمين يستحق بها ما لا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان " وقيل : نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه . والوجه أن نزولها في أهل الكتاب . وقوله : " بعهد الله " يقوي رجوع الضمير في بعده إلى الله " ولا ينظر إليهم " مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول : فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه " ولا يزكيهم " ولا يثني عليهم . فإن قلت : أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه ؟ قلت : أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر " لفريقا " هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم " يلوون ألسنتهم بالكتاب " يفتلون بها بقرائه عن الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة : يلوون بالتشديد كقوله : " لووا رؤوسهم " المنافقون : 5 . وعن مجاهد وابن كثير : يلون ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها . فإن قلت : إلام يرجع الضمير في " لتحسبوه " ؟ قلت : إلى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف . ويجوز أن يراد : يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ : ليحسبوه بالياء بمعنى : يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب " ويقولون هو من عند الله " تأكيد لقوله : هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءة تهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة . وعن ابن عباس : هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ﷺ ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم .

" ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون " " ما كان لبشر " تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى . وقيل : إن أبا رافع القرطي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله ﷺ : أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا ؟ فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر

بعبادة غير الله ! .

فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت . وقيل :